تفسير القرآن الكريم

سورة العنكبوت ٨-٨-١٤٠٣ ٣

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم(١)

سورة العنكبوت

أَ حَسِبَ النَّاسُ أَن يُترَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و قوله (الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) اختلف الناس فِي (الم) و قد ذكرناه فيما مضى «٢». و قوله (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) خطاب من الله لخلقه على وجه التوبيخ لهم بأن قال أ يظن الناس أن يتركهم اللَّه إذا قالوا آمنا أى صدقنا و نقتصر منهم على هذا القدر، و الحسبان و الظن واحد.
- (٢) انظر ١/ ٤٧- ٥١.

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و قوله (أ حسب) معناه التوهم و التخيل. و قيل: الحسبان مشتق من الحساب، لأنه فى حساب ما يعمل عليه. و منه الحسيب، لأنه فى حساب ما يختبى، و «هم لا يفتنون» أى أ يظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا؟!. و المعنى انهم يعاملون معاملة المختبر لتظهر الافعال التى يستحق عليها الجزاء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۶

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و قيل: فى معنى «أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» قولان: أحدهما- يتركوا لأن يقولوا. الثاني- أ حسبوا أن يقولوا على البدل و قال مجاهد: معنى «يُفْتَنُونَ» يبتلون فى أنفسهم و أموالهم.
- و قيل: معنى يفتنون يصابون بشدائد الدنيا أى ان ذلک لا يجب أن يرفع فى الدنيا لقولهم آمنا. و قال ابن عمر: أ ظنوا ان لا يؤمروا و لا ينهوا.
- و قال الربيع: ألا يؤذوا و لا يقتلوا؟!

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۶

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- ثم اقسم تعالى انه فتن الذين من قبلهم «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ» فيه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۷

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و انما قال «فليعلمن» مع أنه للاستقبال و اللَّه تعالى عليم فيما لم يزل، لحدوث المعلوم فلا تصح الصفة إلا على معنى المستقبل إذ لا يصلح و لا يصح لم يزل عالماً بأنه حادث، لانعقاد معنى الصفة بالحادث، و هو إذا حدث علمه تعالى حادثاً بنفسه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۷

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و قيل: معنى «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» ليجازيهم بما يعلم منهم. و قيل: معناه يعلم اَللَّه الذين صدقوا فى أفعالهم، كما قال الشاعر:
- [ليث بعثر يصطاد الرجال] إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا «١»

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٧

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

- و قال ابن شجرة «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» معناه فليظهرن اللّه لرسوله صدق الصادق.
- و قال النقاش: معناه فليميزن اللّه الصادقين من الكاذبين. و هو قول الجبائى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۷

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ

- قوله تعالى: «الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ» اَلحسبان هو الظن، و جملة «أَنْ يُتْرَكُوا» قائمة مقام مفعوليه، و قوله: «أَنْ يَقُولُوا» بتقدير باء السببية، و الفتنة الامتحان و ربما تطلق على المصيبة و العذاب، و الأوفق للسياق هو المعنى الأول، و الاستفهام للإنكار.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ٩٩

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ

- و المعنى: أ ظن الناس أن يتركوا فلا يتعرض لحالهم و لا يمتحنوا بما يظهر به صدقهم أو كذبهم فى دعوى الإيمان بمجرد قولهم: آمنا؟

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ٩٩

الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ

- و قيل: المعنى: أ ظن الناس أن يتركوا فلا يبتلوا ببليـة و لا تصيبهم مصيبة لقولهم: آمنا بأن تكـون لهـم علـى الله كرامة بسبب الإيمان يسلموا بها من كل مكـروه يصـيب الإنسان مدى حياته؟ و لا يخلو مـن بعـد بـالنظر إلـى سياق الآيات.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ٩٩

و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين

- قوله تعالى: «و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين» اللام للقسم، و قوله: «و لقد فتنا الذين من قبلهم» حال من الناس فى قوله: «أ حسب الناس» أو من ضمير الجمع فى قوله «لا يفتنون»

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۰

و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين

- و على الأول فالإنكار و التوبيخ متوجه إلى ظنهم أنهم لا يفتنون مع جريان السنة الإلهية على الفتنة و الامتحان و على الثانى إلى ظنهم الاختلاف فى فعله تعالى حيث يفتن قوما و لا يفتن آخرين، و لعل الوجه الأول أوفق للسياق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

- فالظاهر أن المراد بقوله: «وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أن الفتنة و الامتحان سنة جارية لنا و قد جرت في الذين من قبلهم و هي جارية فيهم و لن تجد لسنة الله تبديلا.

الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

- و قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» إلخ تعليل لما قبله، و المراد بعلمه تعالَى بالذين صدقوا بالكاذبين ظهور آثار صدقهم و كذبهم فى مقام العمل بسبب الفتنة و الامتحان الملازم لثبوت الإيمان فى قلوبهم حقيقة و عدم ثبوته فيها حقيقة

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذبينَ

- فإن السعادة التى تترتب على الإيمان المدعو إليه و كذا الثواب إنما تترتب على حقيقة الإيمان الذى له آثار ظاهرة من الصبر عند المكاره و الصبر على طاعة الله و الصبر عن معصية الله لا على دعوى الإيمان المجردة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذبينَ

- و يمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعلى الذى هو نفس الأمر الخارجى فإن الأمور الخارجيـة بنفسـها من مراتب علمه تعالى، و أما علمه تعـالى الـذاتى فـلا يتوقف على الامتحان البتة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

- و المعنى: أ حسبوا أن يتركوا و لا يفتنوا بمجرد دعوى الإيمان و إظهاره و الحال أن الفتنة سنتنا و قد جرت فى الذين من قبلهم فمن الواجب أن يتميز الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء و آثار كذب أولئک الملازم لاستقرار الإيمان فى قلوب هؤلاء و زوال صورته الكاذبة عن قلوب أولئک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٠

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذبينَ

- و الالتفات فی قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» إلی اسم الجلالة قيل: للتهويل و تربية المهابة و الظاهر أنه فی أمثال المقام لإفادة نوع من التعليل و ذلک أن الدعوة إلی الإيمان و الهداية إليه و الثواب عليه لما كانت راجعة إلی المسمی بالله الذی منه يبدأ كل شیء و به يقوم كل شیء و إليه ينتهی كل شیء بحقيقته

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۰

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذبينَ

- فمن الواجب أن يتميز عنده حقيقة الإيمان من دعواه الخالية و يخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحة و لذلک عدل عن مثل قولنا:فلنعلمن إلى قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ».

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۱

يُفْتَنُونَ

أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ

سورة العنكبوت

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٤)

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- ثم قال تعالى ممدداً لخلقه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» اى أَ يظن الذَين يفعلون القبائح وَ المعاصَى ان يفوتونا؟! كما يفوت السابق لغيره.
- ثم قال «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الشىء الذى يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۷

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- قوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أم منقطعة، و المراد بقوله: «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين و يصدونهم عن سبيل الله كما أن المراد بالناس في قوله: «أَ حَسِبَ النَّاسُ» هم الذين قالوا: آمنا و هم في معرض الرجوع عن الإيمان خوفا من الفتنة و التعذيب.

الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠١

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا

- و المراد بقوله: «أَنْ يَسْبِقُونا» الغلبة و التعجيز بسبب فتنة المؤمنين و صدهم عَن سبيل الله- على ما يعطيه السياق.
- و قوله: «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» تخطئة لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة و صد فإن ذلک بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم و صد لهم عن سبيل السعادة و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

الميزان فی تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠١

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- و قيل: مفاد الآية توبيخ العصاة من المؤمنين و هم المراد بقوله: «الَّذِين يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات» و المراد بالسيئات المعاصى التَى يقترفونها غير الشرَک، و أنت خبير بأن السياق لا يساعد عليه.
- و قيل: المراد بعمل السيئات أعم من الشرک و اقتراف سائر المعاصى فالآية عامة لا موجب لتخصيصها بخصوص الشرک أو بخصوص سائر المعاصى دون الشرک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠١

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- و فيه أن اعتبار الآية من حيث وقوعها فی سياق خاص من السياقات أمر و اعتبارها مستقلة فی نفسها أمر آخر و الذی يقتضيه الاعتبار الأول و هو العمدة بالنظر إلی غرض السورة هو ما قدمناه من المعنی، و أما الاعتبار الثانی: فمقتضاه العموم و لا ضير فيه علی ذلک التقدير.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۱

سورة العنكبوت

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٥)

سورة العنكبوت

وَ مَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ
إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ(٦)

سورة العنكبوت

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٧)